

من أجل المصالحة الوطنية

الأستاذ : سعيد معول *

تتلخص أصلا في إسلامها وعروبتهها
وأمازيغيتها.

ولقد تألفت هذه المقومات عبر القرون
وتعانقت و توحدت من خلالها آمال الأمة
وآلامها فكانت بمثابة الإسمنت الذي حفظ
على وحدتها و الجدار الواقي الذي صدَّ
هجمات أعدائها ، و تحطمت دونه كل
محاولات المسخ و النسخ و الاحتلال و كل
محاولات التضليل و التشتيت و التمزيق
والتفريق ، ذلك أنني لا أعرف شعبا فوق هذه
الأرض تعرض لما تعرض له شعبنا
عبر تاريخه الطويل في محاولات شتى من
مختلف الغزاة و المعتدين على أرضه و على
تاريخه و شخصيته ، كما لا أعرف شعبا
صمد أمام كل محاولات صمود الجزائريين
سواء كان الصمود صمودا ماديا جهاديا أم
صمودا أدبيا معنويا رافضا بذلك الخضوع و
الخنوع و كارها المذلة و المسكنة وباندا كل
ما يملك في سبيل العزة و الكرامة.

إنّ التاريخ - كما قيل - ذاكرة
الشعوب و الأمم، إذ هو لها بمثابة العقل
للأفراد، و من ثم يجب أن يدرّس للكبار، وأن
يلقّن للصغار بنفس التقديس والإجلال
والإكبار الذي تدرس به مبادئ الدين
واحكام الشرع و تلقّن به الحكم الكامنة وراء
الأحكام الكامنة، فهو - أي التاريخ - يحبّ
كالقرآن، ويستعذب كتلاوته ويمتّع كالتدبّر
في آياته.

فهو أحد العناصر الأساسية
لشخصية أيّة أمة و لوحدة أي شعب
و لتضامن أي جنس ، و من أهم مكونات
ذاتية أيّة أمة من الأمم، بل هو العقد الذي
تنسلك فيه جميع المقومات الأخرى المكونة
لأنتيتها وأصالتها.

وتاريخ الجزائر الحبيبة و عبر مراحلها
الأساسية و حلقاته المتواصلة هو البوتقة
التي انصهرت فيها مكوناتها و توحدت
مقومات شخصيتها الأساسية والتي

إلّا أننا لابدّ أن نعلم أن قدر الأمم العظيمة التعرّض للهزات و التعرّض للهفوات والعثرات و لكن قدرها كذلك السرعة في الخروج من الأزمات و قطع المسافات وطي الصفحات .هل من المعقول أن يساوم شعب علي وحدته دفع من أجل استقلاله عشر أبنائه؟ وهل من المعقول بعد قرون من الوحدة والتآلف أن يشك في هويته ؟ وهل المنطق والمعقول أن تكون في يوم من الأيام عناصر وحدته المتمثلة في دينه ولسانه سببا في تمزيقه و تشتيته ؟ و هل يكون التاريخ قد فصل في جميع هويات الأوطان وتبقى هوية وطننا بعد كل هذه التضحيات محل شك وريبة و تساؤل ؟ لا و ألف لا.

إنّ ما نشاهده اليوم هي مواصلة يائسة لسيناريو مسلسل الأمس ، لقد سمعت بمناسبة ذكرى ثورة نوفمبر 2002 أحد المؤرخين الغربيين يتحدث في إحدى القنوات الفرنسية يقول : " عندما كنت أستاذًا للتاريخ بوهرا ن قبل و خلال ثورة التحرير كان طلبتي يصرخون في وجهي و يعلنون اعتزازهم بالانتماء العربي

الإسلامي ، فهم يقولون ذلك لأنّ المرحلة كانت مرحلة الانبعاث العربي ومرحلة الناصرية أما الآن بعد عودة الوعي لهؤلاء؟ هكذا يقول " - بعد عودة الوعي "فإنك حينما تخاطب أحدهم و تقول له أنت عربي مسلم فإنّه يجابهك بالرفض و يقول لك بأنني أرفض هذا المصطلح لأنّه مصطلح استعماري، وفي نفس السياق سمعت منشطا لحصة تلفزيونية مشرقية يرد على أحد محاوريه الذي أشاد بمقاومة الشعوب العربية للاستعمار في العصر الحديث قائلا له: (دعنا من لغة الخشب التي تذكرنا بالجزائريين الذين كانوا يفتخرون بثورة المليون و نصف المليون شهيد و اليوم نجد شبابهم و مواطنيهم عامة يتمنّون عودة فرنسا، و إن أنسى لا أنسى ما صرح به أحد المشاركين في تفجير ثورة نوفمبر لإحدى القنوات الإذاعية عندما سألته المنشطة عن شعوره و هو يعيش ذكرى أول نوفمبر فقال لها بكل بساطة أنا اليوم مسرور لكون شبيبتنا الآن تبحث على أصلها إذ بالنسبة إليه هو لم يتغيّر شيء لأن الاستعمار كان

التاريخ ومع كل عناصر الهوية الوطنية التي كانت على الدوام هي الضامنة لوحدة آمال الأمة وآلامها، و مع المصالحة الوطنية يجب علينا أن نرفع أصواتنا عالية و نقول لا يمكن أن نوافق على تشييت وحدتنا باسم الإسلام لأن الشعب الجزائري مسلم، أو لم يسجل جميع المؤرخين في مشارق الأرض و مغاربها بأنه من أسرع شعوب الأرض إلى اعتناق عقيدة التوحيد؟ ولا يمكن أن نوافق على تمزيق وحدتنا باسم العروبة لأن الشرفاء من هذا الوطن ليس لهم أي مشكل مع هذا الانتماء العظيم ، و لا يمكن أن نرضى بتمزيق صفوفنا باسم الأمازيغية لأن الشرفاء والخلصاء من هذا الشعب ليس لهم أية عقدة مع هذا الأصل الكريم، ولا يمكن أن نقبل بتفريق هذا الشعب باسم الأحزاب السياسية لأننا جميعا حزب واحد ضد الجهل و ضد المرض و ضد الجوع وكل مظاهر التخلف التي تزري بقيمة الإنسان، و لا يمكن أن نوافق على تمزيق وحدتنا باسم الديمقراطية لأن أرجاء وطننا

يكون من بينها تحصين شببيتنا بالعلم الصحيح الشامل لأن العلم في مفهومه الواسع يمثل الخط الأول في الدفاع عن الأمن الاجتماعي الشامل ولا يكون لمجتمع علم أبناءه تعليما صحيحا أن يزيغ أبنائه ولا أن يغفلوا عن أمجادهم و أنجادهم ولا أن ينساقوا وراء كل صوت ناعق يدعو إلى المغامرات ، و التي من بينها كذلك الشروع في محاربة مختلف الاختلالات المادية والأدبية التي يمكن أن تسود في المجتمع بواسطة ممارسات مخالفة لقواعد التعامل الصحيحة و أسس التفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع.

إن محاربة الاختلال؟ الذي هو أبو كل احتلال - أضحى اليوم من شروط نجاح مشروع المصالحة الوطنية أو أي مشروع اجتماعي إصلاحي آخر مهما كانت غايته ومقصده وهدفه.

إن مشروع المصالحة ينبغي أن يقام على أرضية صلبة يتمكن الجميع من الوقوف عليها و الاتفاق حولها و تعني أول ما تعني المصالحة مع الذات ومع

العزیز شاسعة واسعة تسع كل هذه الآراء وكل هذه القناعات ولا تضيق بها.

إنّ المصالحة الوطنية تسعى إلى تعميق عشق شبابنا لأمجاد بلادهم وأنجادهما وتثبيت محبتهم لها واعتزازهم بها ، ليبقى عشقهم قائما على الدوام و متعلقا بكل حبة رمل من رمال صحاريها و فيافيها ، و كل حبة تمر من تمور نخيل واحاتها و وديانها ، و كل حبة قمح من قموح سهولها و هضابها و كل حبة زيتون من زيتون جبالها و وهادها ، وليحمدوا الله قبل ذلك و بعد ذلك على نعمته التي أكرمهم بها ؟ إذ بالشكر تدوم النعم -وليرددوا دائما و أبدا الزيتون لنا و القمح لنا و التمر لنا و الرمل لنا و الجزائر لنا و المجد لنا.

وعلينا جميعا أن نعلم إذا كان الصلح والمصالحة لازمة في كل وقت و حسنة في كل زمان فهي في هذا الوقت و هذا الزمان ألزم و أحسن و أوجب و أليق.

و فضلا عن أخوتنا و ما

تقتضيه وحدثنا و ما تستوجبه فإن علينا أن نعلم جميعا أن أماننا أمورا توجب على المصالحة العاجلة ، المخلصة لنواجهها مجتمعين ، متكاتفين ، متراسين ، أماننا متطلبات التنمية و شروطها التي تعتبر الضامن الأساسي لسعادة أبنائنا و استقرارهم و ارتباطهم بوطنهم و حمايتهم له ، و أماننا التكتل الأجنبي الذي يقوى يوما بعد يوم ، و أمام أبوابنا ، فويل لنا إن نحن لم نستعد لنقف له بالمرصاد موحدين متصالحين و متسامحين. و أماننا الحالة العالمية العامة و العلاقات الدولية المعقدة ، بغيمها و ظملمتها لم يضطرب حبلها يوما اضطرابه في هذه الأيام ، و إن في جوها لبوارق و من ورائها لصواعق و إن في طيها لبوائق ، فإذا لم نعالج أحداثها بمصالحة وطنية قوية و لم نقف في وجهها صفا واحدا ، و أضلطنا و نحن متفرقون متخاصمون متخاذلون "أضعنا الفرصة و خسرنا الصفقة ، و ما أقبحها من خسارة.

دخلت يوما على صديق مكتبه فقلت له بدون شعور " Salut " فقال لي لم نكن نعلم

و نحن نقول للذين يتحدثون الافرنجية
و لا يفهمون غيرها نريد في وطننا
"Salut" و للذين لا يفهمون إلا العبرية لا
نريد في وطننا إلا الشالوم و للذين لا
يفهمون إلا العربية لا نريد في وطننا إلا
السلام.

بأنك استبدلت التحية الإسلامية بهذه
الكلمة الافرنجية ، فقلت له ويا ويح أمك أو
لا تعلم بأن هذه الكلمة ربما من الكلمات
القليلة التي بقيت مشتركة بين مختلف
الأديان؟ فإذا كان المسلمون يقولون
السلام عليكم ، فإن اليهود يقولون
الشالوم و الإفرنج يقولون "Salut"